

محاضرات مقياس المقاربات الكمية والكيفية

سنة أولى ماستر الاتصال الجماهيري والوسائط الجديدة

المحاضرة الرابعة: المنهج الإثنوغرافي والمنهج السيمولوجي

أولاً: المنهج الإثنوغرافي:

الإثنوغرافيا: يستعمل هذا المصطلح في بعض الأحيان كمرادف للبحوث النوعية، ومع ذلك فهو يعد من أهم المناهج المستخدمة في البحوث النوعية.

المنهج الإثنوغرافي: هو المنهج الذي يقوم على أساس وصف وتحليل وتفسير لثقافة مجتمع أو مجموعة من الأفراد، وهو يركز على الأفعال والمعتقدات ونمط الحياة لهؤلاء الأفراد أو المجتمعات أو النظام.

خصائص البحث الإثنوغرافي: هناك مجموعة من الخصائص التي يمتاز بها البحث الإثنوغرافي، أهمها:

1- جمع الأدلة مباشرة من الميدان، وعن طريق مشاركة حياة الأفراد والأحداث، والمواقف في سياقها الطبيعي، كما يتم جمع الأدلة عن طريق المقابلات الرسمية وغير الرسمية مع أفراد المجتمع المدروس.

2- يبدأ الباحث بأسئلة بحثية أولية عامة، وعادة ما يقوم بإعادة صياغتها أثناء عملية جمع البيانات.

3- يوثق الباحث الإثنوغرافي وجهات نظر المبحوثين في الدراسة، وذلك من خلال معاشتهم وحوارهم المستمر مع المشاركين.

4- يجمع الباحثون الإثنوغرافيون معلومات كثيرة، باستخدام أساليب متعددة في صورة الملاحظة، المقابلة، حفظ المذكرات، اليوميات، وتحليل الوثائق المتوافرة، والتصوير الفوتوغرافي وتسجيل الفيديو... وغيرها، ويتم تحليل كل ذلك بطرق التحليل النوعي.

إجراء البحوث الإثنوغرافية: عموماً خطوات إجراء البحوث الإثنوغرافية، هي نفس خطوات البحث النوعي، وهي كالتالي:

***المرحلة الأولى**: هي تحديد المشكلة أو الظاهرة التي ينبغي استكشافها، حيث الهدف هو محاولة فهم العالم كما تراه المجموعة موضع الدراسة.

***المرحلة الثانية**: تحديد واختيار الموقع الميداني، أي مكان إجراء الدراسة أين سيتم جمع المعلومات والبيانات.

***المرحلة الثالثة**: بعد الخطوات السابقة يتعين على الباحث الحصول على منفذ (الدخول)، وتقرير ما الذي سيدرسه، ويستخدم الباحث الإثنوغرافي التعيين القصدي الهادف (العينات القصدية)، فيختار الأعضاء

المبحوثين الذين لديهم مدة طويلة في المجموعة ولديهم معلومات وفيرة عن نشاطاتها وأنماط اتصالاتها، وباستخدام المعلومات المحصل عليها يقرر ما هي السلوكيات التي سيراقبها، ومتى وأين وأي المفردات سيختار للمقابلات المكثفة، وأي الوثائق الرئيسية التي يمكن أن تكون ذات الصلة والتي سيقوم بتحليلها.

***المرحلة الرابعة:** بعد المعينة يبدأ العمل الميداني، وجمع البيانات بواسطة تقنيات جمع المعطيات المختلفة (الملاحظة، المقابلة...).

***المرحلة الخامسة:** وهنا يقوم الباحث بتحليل البيانات التي تم الحصول عليها، وذلك باتباع طرق التحليل النوعي المتعارف عليها.

***المرحلة السادسة:** إعداد التقرير المكتوب، الذي يبدأ عموماً ببيان الغرض أو السؤال البحثي الموجه، ويكون متبوعاً بالدليل والأمثلة التي توضح المواضيع الرئيسية للبيانات وتفسيرات الباحث لها مع ذكر النتائج والاستنتاجات الرئيسية المستخلصة من الدراسة أو البحث.

الأسس التي تعتمدها استراتيجية البحث الإثنوغرافي: يقوم البحث الإثنوغرافي على الأسس والافتراضات التالية:

1- يتأثر السلوك بالبيئة التي يحدث فيها، والفهم الحقيقي للسلوك يتطلب فهم تلك البيئة أو السياق، فالثقافة بكل أبعادها في البحث النوعي الإثنوغرافي هي العنصر الأساس في فهم حياة الأشخاص.

2- تجمع البيانات والمعلومات في مواقعها وسياقها الطبيعي، وتم عملية تفسير البيانات في إطار السياق الذي جمعت فيه.

3- تعميم النتائج ليس هدفاً، المهم الوصف الدقيق والكافي للموقف، والتوسع في النتائج.

4- لا يفرض الباحث نظامه القيمي أو معتقداته على المواقف قيد الدراسة، أو على المشاركين في الحدث، بعبارة أخرى لا يضبط الباحث المواقف ولا يحاول التحكم بها أو إجراء أي معالجة لها كما هو الحال في البحث التجريبي، لذا ينبغي عليه وصف السياق والمحيط من دون أية محاولة للباحث أن يفرض نظامه القيمي على المواقف البحثية.

5- عملية اشتقاق الفروض والمعاني والتفسيرات للحدث أو الموقف عملية ديناميكية ومستمرة.

6- إدراكات الأفراد والجماعات هي الموجه الأساسي لسلوكهم نحو الآخرين.

7- التفاعل ضروري بين الباحث والمبحوث في الموقف أو السياق الاجتماعي والمشاركين.

8-الباحث الإثنوغرافي حساس ويقظ ومنتبه، لما يدور حوله في الموقف أو المشهد الاجتماعي، يدون الأحداث بدقة وأمانة وموضوعية.

9-تنبثق أسئلة الباحث الإثنوغرافي من عدد من المصادر، مثل: الأحداث اليومية الشائعة عند المشاركين، الإيديولوجيات والفلسفات، الخبرات والتجارب...

ثانيا: المنهج السيميولوجي:

قبل التطرق إلى المنهج السيميولوجي، لابد من التعرّيج على السيميولوجيا.

تحتل السيميولوجيا في المشهد الفكري المعاصر مكانة مميزة، فهي نشاط معرفي بالغ الخصوصية من حيث أصوله وامتداده، ومن حيث مردوديته وأساليبه التحليلية إنها علم يستمد أصوله ومبادئه من مجموعة كبيرة من الحقول المعرفية كاللسانيات والفلسفة والمنطق والتحليل النفسي والأنثروبولوجيا.

وهي ترتبط ارتباطا وثيقا بالعالمين السويسري **دوسوسير**، والأمريكي **بيرس**، حيث أطلق العالم دوسوسير على هذا العلم اسم " علم السيميولوجيا "، في حين أطلق عليه بيرس اسم " السيميوطيقا ".

مفهوم السيميولوجيا: يعود اشتقاقها إلى الجذر اليوناني **Sémion** ويعني العلامة، سواء كانت لغوية أو غير لغوية، أما اللاحقة **logos** فتعني العلم، وبدمج الثنائية التركيبية تصبح علم العلامات، وهي تعني دراسة العلامات أو الإشارات دراسة منظمة منتظمة.

وهي: العلم الذي يدرس كل أنساق العلامات أو الرموز التي بفضلها يتحقق التواصل بين الناس، كما يطلق عليها بالعربية السيميائية أو علم الإشارات.

العلامة عند دوسوسير تتكون من **دال ومدلول**، حيث الدال هو عبارة عن صورة صوتية أو تعبير صوتي، في حين يعبر المدلول عن مفهوم أو تصور ذهني.

المنهج السيميولوجي:

يعتبر التحليل السيميولوجي أفضل منهج يسلط الضوء على الآليات التي تنتج من خلالها المعاني في الأنساق الدلالية، ويكشف عن العلاقات الداخلية لعناصر النسق، ثم يعيد تشكيل نظام الدلالة بأسلوب يتيح فهم أفضل لوظيفة الرسالة الإعلامية.

وهو: مجموعة التقنيات والخطوات المستخدمة للبحث في صيغ اكتمال حلقة الدلالة في نسق معين.

وهو: تلك التقنية التي تكشف معاني ودلالة العلامات في نسق ما والغوص في أغمار ما هو ظاهر لاكتشاف ما هو باطن.

التحليل السيميولوجي:

هو: مقارنة يمكن تطبيقها على كافة الأنساق على اعتبار أنها أنساق تحمل في ثناياها معاني ودلالات. وهو: مجموعة التقنيات والخطوات المستخدمة لوصف وتحليل شيء باعتبار له دلالة في حد ذاته وإقامته علاقات مع أطراف أخرى من جهة أخرى.

كما يعتبر شكلا من أشكال البحث الدقيق في المستويات العميقة للرسالة الأيقونية أو الألسنية على حد سواء، يلتزم فيه الباحث بالحياد اتجاه هذه الرسالة من جهة، ويسعى فيه من جهة أخرى إلى تحقيق التكامل من خلال التطرق إلى الجوانب الأخرى...

أبعاد التحليل السيميولوجي: تجاوزا لنقائص تحليل المحتوى الامبريقي لجأ باحثوا الاتصال إلى اقتناص المناهج الأدبية واللسانية والسيميائية لفحص مضامين وأشكال النصوص الاتصالية، فإذا علمنا إهمال التحليل المصغر في معظم الأبحاث التقليدية نتيجة الإسقاط والتعميم والإحصاء، يتضح لنا الدافع إلى الاعتناء بالبنى العميقة للخطاب عبر تخصيصها واستنباط دلالاتها.

وفي هذا المقام فإن تفكيك عناصر النسق الاتصالي واستنطاق معانيه الضمنية يقتضى الاعتماد على منهج التحليل السيميائي، الذي يقوم على مفهوم:

1-النسق.

2-الآنية.

3-الدليل (العلامة).

بعض الحقول التي استخدم المنهج السيميولوجي فيها تفكيكا وتركيبا

1-الشعر.

2-الرواية والقصة.

3-الأسطورة والخرافة.

4-المسرح.

5-السينما.

6-الإشهار.

7-الأزياء والأطعمة والأشربة والموضة.

8-التشكيل وفن الرسم.

9-التواصل.

10-الثقافة.

11-القصة المصورة.

12-الموسيقى.

مثال:

الرسالة الإشهارية: خطاب استهوائي إيجائي وإقناعي ، يتألف من ثلاثة خطابات أساسية:

1-الخطاب اللغوي اللساني.

2-الخطاب البصري الأيقوني.

3-الخطاب الموسيقي الإيقاعي.

كما تتكون الرسالة الإشهارية من ثلاث عناصر تواصلية، وهي:

1-المرسل (المصدر).

2-المتلقي.

3-فحوى الرسالة الإشهارية (الخطاب الإشهاري).

كما تتكون الرسالة الإشهارية من ثنائية التعيين (التقرير) والتضمين (الإيجاء).

1-التعيين: حيث يركز هذا المستوى على وصف كل ما وقعت عليه العين المجردة ومحاوله إحصاء كل العلامات والرموز التي تشكل الصورة دون إعطائها معناها وتأويلها.

2-التضمين: وهو محاولة استنتاج الصورة أو الرسالة وقراءتها من خلال ترجمة تلك العلامات وترجمة دلالاتها وإعطائها معناها الحقيقي من خلال ما تعبر عنه داخل البيئة المجتمعية.

بالتوفيق للجميع